الخدعة الأخيرة

محمود سالم

الخدعة الأخيرة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الخدعة الأخيرة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٨٣٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
علماء ... وقتلة!	١١
رصاصةٌ في القلب!	١٧
محاولة أخرى للقتل!	٢٣
مطاردة قاتلة!	٢٧
الخدعة!	٣٣
الاختطاف!	٣٩
سباقٌ مع الزمن!	٤٣
الخدعة الأخيرة!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

علماء ... وقتلة!

الساعة التاسعة مساءً ...

وسماء مدينة «نيويورك» الأمريكية ملبَّدةٌ بغيوم يناير المكفهر ... وبعض الثلج قد بدأ في التساقط على شكل كرات صغيرة.

بداخل أحد المعامل الكبيرة في أطراف حي «مانهاتن» الصاخب، كان البروفيسور المغربي الدكتور «أحمد مرزوق» ... أستاذ الطاقة النووية بجامعة «ميتشجان» قد راح يُجري بعضَ المعادلات الحسابية المعقَّدة.

مرَّ الوقت بطيئًا ... وفي النهاية ارتسمَت ابتسامةٌ على وجه البروفيسور، وأمسك بالأوراق الكثيرة المليئة بالمعادلات الرياضية والأسهم، وألقاها بداخل المدفأة المشتعلة ... فازداد لهيبُها.

لم يكن البروفيسور بحاجة إلى أوراق يحتفظ فيها بنتائج معادلاته الرياضية ... التي كانت على درجة كبيرة من السِّرية، والخاصة بقدرات المفاعلات النووية السِّلمية. وتنهَّد البروفيسور في راحة ... وهو يشعر بإرهاق شديد. كان قد أمضى ساعاتٍ طويلةً بدون أن يحصل على قليل من الراحة.

وشعر بالجوع، فارتدى سُتْرتَه الثقيلة، وغادر المكان بعد أن أطفأ المدفأة ... واتجه هابطًا خارجًا من معمله. وكانت سيارته تقف أمام سور الحديقة المحيط بالمعمل الكبير ... الذي بدَا منظرُه مثلَ أيِّ منزل عادي.

شعر البروفيسور بالبرد يَلْفَحه ... ولكنَّ كراتِ الثلج الصغيرةَ التي لامسَت وجهَهُ ... أعادَت إليه حيويَّتَه ... وزادَت إحساسَه بالجوع، فزاد من خطواته باتجاه سيارته ... ليعود إلى منزله ... حيث زوجته وأطفاله ... والطعام الشهي والإحساس بالراحة ... ولكن!

لم يكن مقدَّرًا للبروفيسور «مرزوق» أن يذهب إلى منزله ... ولا أن يشاهد زوجته أو أولاده. لم يكن مقدَّرًا للبروفيسور أن يفعل شيئًا آخر تلك الليلة. فما كاد أن يخطوَ باتجاه سيارته ... وتُلامس أصابعُه بابَها ... حتى انطلقَت ثلاثُ رصاصات من مسدس كاتم للصوت في اتجاه جسد البروفيسور ... وعلى أثرها تهاوَى بلا حَراك بجوار سيارته. وظل الثلجُ يتساقطُ ... ولم يشعر أحدٌ بما جرى. وانسلَّ القاتلُ الحقيقيُّ بسرعة دون أن يترك أيَّ أثر وراءه ... غيرَ خيطٍ رفيع من الدماء يسيل من قلب البروفيسور القتيل ... فصبغ الثلج الناصع حوله بلونٍ أحمر حزين.

الخامسة فجرًا ...

والضباب قد تكاثف حول مدينة «لندن» بشكل سيئ ... حتى لا يكادَ الإنسانُ يرى أبعدَ من أصابعه. وخلَت الطرق من المارة بسبب البرد القارص ... ولم يُسمع هنا أو هناك غير صوت خطوات رجل الشرطة المكلَّف بالحراسة في ذلك الطريق ... المطل على برج لندن ... من نهايته. وقد أوشك النهرُ الجاري على التجمُّد لشدة الصقيع. لم تشهد مدينةُ لندن منذ سنوات مثل ذلك البرد القارص.

لكن العالِم اللبناني «أنطوان سعيد» ... لم يكن يشعر بأيِّ بردٍ على الإطلاق. كانت التجربة التي يُجريها على استنباط نوع جديد من الطاقة العالية القوة ... باستخدام أوراق الشجر المعالجة بطريقة كيميائية خاصة ... وبدرجات حرارة معينة. كانت تلك التجارب تُوشك أن تكتمل ... بعد مجهودِ سنوات طويلة من الأبحاث والتجارب، وها هي تُوشك على النهاية لتحقِّق نصرًا علميًّا عزيزًا! وانقلابًا في عالم استخدام الطاقة التقليدية.

كان نجاح «أنطوان سعيد» كفيلًا بجعله أشهرَ رجل في العالم ... ومن أثرى أثريائها. وكان نجاحه أيضًا كفيلًا بحلِّ جزءٍ كبيرٍ من مشكلات العالم ... ومن مشكلات وطنه على الأخصِّ.

شعر العالم اللبناني بالإرهاق الشديد. كان قد أمضى ما يقرب من ٤٨ ساعة في معمله ... دون أن يحصلَ على أيِّ قدر من الراحة ... وشعر بأنه يكاد يفقدُ وَعْيَه لشدةِ تعبِه. وتثاءَبَ وهو يفكِّر ... من الأفضل أن يحتفظ لنفسه ببعض القوة ... وسوف تكتمل تجاربُه قريبًا. أغلق بابَ معمله ... وفضَّل أن يذهب إلى مسكنه القريب الذي يعيش فيه وحيدًا ... ليحصل على أكبر قدر من الراحة.

كان «أنطوان سعيد» لا يتجاوز الثلاثين من عمره ... ولكنه كان عبقريًّا بكل المقاييس، ولم يكن يشغله غيرُ عمله وتجاربه ... ولذلك ... لم يفكر في الارتباط أو الزواج قبل أن تنتهيَ تجاربه.

واستقبله ضوءُ الفجر الشاحب في الخارج ... وسَمِع صوتَ أقدام رجل الشرطة القريب منه ... وإن لم يستطع تمييز مكانه بسبب الضباب الكثيف ...

واتجه «أنطوان» إلى سيارته ... ووقف لحظة مترددًا، هل يقود سيارته في ذلك الضباب ... أو يذهب إلى منزله سيرًا على الأقدام؟!

استقرَّ رأيُه على ركوب السيارة بسبب البرودة القارصة، وفتح باب السيارة ... ووضع المفتاح ... وما كاد يُدير مفتاح السيارة ... حتى دوَّى انفجارٌ هائل ... وتحوَّلَت السيارة براكبها إلى قطعة من الجحيم المشتعل. وعلى الفور استيقظ النائمون ... وانفتحَت أبوابٌ وشبابيك ... وأطلَّت الرءوس ... ولكن ... لم يظهر أيُّ رجل شرطة في المكان بنفس السرعة. أما رجل الشرطة الوحيد ... الذي كان بالمكان ... فقد ارتسمَت ابتسامةٌ غامضة على وجهه ... وأسرع يختفي داخل الضباب الكثيف ...

الخامسة عصرًا ...

ومدينة «برازيليا» عاصمة البرازيل تبدو مشرقةً ناصعة الوجه ... برغم الشتاء البارد. وقرصُ الشمس في السماء لم يَغِب بعدُ ... مرسلًا آخرَ شعاع دافئ، وراح الدكتور «صالح الطيب» يلتهم غداءَه في شهية.

كان لا يزال أمامه الكثير من العمل ... وحكومته تنتظر نتائج تجاربه على أحرٍّ من الجمر ... في استغلال الغابات ... وجعلها صالحةً للزراعة لأنواع معينة من النباتات، وهو الشيء الذي برع فيه البرازيليون، ولأجل ذلك ... كانت بعثتُه وسفرُه من جامعة الخرطوم إلى البرازيل؛ للاستفادة من أبحاث البرازيل وتجاربها في ذلك الشأن.

كان الدكتور «صالح» أبرعَ مما ظن أساتذتُه ... فقد درس كلَّ التجارب البرازيلية، وأضاف إليها مستنبِطًا أنواعًا جديدة من الأسمدة العضوية المحلية ... الناتجة من تحلُّل أوراق الأشجار والأغصان داخل الغابات نفسها؛ للاستفادة بها في تسميد تربة الغابات دون أية تكلفة تُذكَر.

كان على الدكتور «صالح» أن يُنهيَ غداءَه بسرعة، فإلى جانب عمله العاجل، كانت هناك دعوة مسائية للاحتفاء به في بعض الأوساط العلمية البرازيلية؛ توطئة لإعلان نتائج أبحاثه ... التي كان الدكتور «صالح» يحتفظ بأغلب نتائجها لنفسه، دون أن يفصحَ عنها لإنسان آخر.

أنهى الدكتور «صالح» غداءَه ... ونهض ... وقد تضاعف نشاطُه ... واتجه إلى ثلاجته الصغيرة. كان يشعر بالعطش وبالحر ... برغم الجو البارد حوله. كان معروفًا عنه أنه ببشرته السمراء الملتهبة ... لا يشعر بغير الحر ... مهما كان البرد حوله.

وراح الدكتور «صالح» يعبُّ من الماء المثلج ... وارتسمَت ابتسامةُ راحةٍ على وجهه. ولكن ابتسامته سرعان ما اختفت ... وحلَّ محلَّها نظرةٌ متجمدة. وتقلَّصَت أطراف الدكتور «صالح» ... وسقطَت الزجاجة من يده على الأرض ... وتحطَّمَت.

وظهر زبدٌ أبيض فوق شفتَي الدكتور ... وسقط على الأرض ... وراح يتلوَّى من الألم الرهيب في أحشائه.

ثم كفَّت حركةُ الدكتور «صالح» ... وتمدَّد بلا حَراك بعد ثانيتَين بالضبط؛ فقد كان سمُّ الكوبرا ... الذي تم وضعه في زجاجة الماء البارد ... شديدَ المفعول ... وكفيلًا بقتل فيل ... لو سرى في دمائه خلال ثوانٍ قليلة.

منتصف الليل من نفس الليلة ...

وأصوات مدينة باريس الساهرة حتى ذلك الوقت ... تأتي مختلطة بضحكات الساهرين بجوار نهر السين ... والأضواء اللامعة المتناثرة فوق صفحة النهر ... تبدو كما لو كانت عيونًا ملتهبة ... لا تزال مستيقظة في ذلك الوقت المتأخر.

ووقف البروفيسور «أدهم الدسوقي» يتنسَّم رائحة الماء والنهر الجاري، والذي ذكَّره على الفور بنهر النيل والقاهرة ونهرها ... الذي اشتاق إليه كثيرًا ... وزوجته وأطفاله في القاهرة.

وتذكَّر البروفيسور في غمرة انشغاله بأعماله وأبحاثه ... التي أوشكَت على الانتهاء، والتي كانت ستُحدث انقلابًا في طرق زراعة الأراضي الصحراوية ... بدون استخدام أسمدة ... بل بواسطة مواد آزوتية قليلة التكلفة ... ودون الحاجة إلى مصادر دائمة للمياه. وكان نجاح تلك التجارب كفيلًا بتغيير خريطة الحياة الاجتماعية والزراعية في مصر. وها هو البروفيسور «أدهم» قد أوشك على الانتهاء من تجاربه بالفعل ... وتنبَّه على صوت سكرتيرته الفرنسية. كان قد نَسيَ وجودها بجواره، وأنه تبرَّع لتوصيلها إلى منزلها بسبب تأخيره لها في العمل.

وتنبَّه إلى كلماتها تقول: يبدو أن نهر «السين» قد أعاد ذكرى بلادك إليك!

أجابها البروفيسور: معكِ حقٌّ.

فقالت له: لقد اقتربتَ كثيرًا من منزلي ... ولا حاجة بك لأن تُتعب نفسك أكثر من ذلك ... سأتركك للنهر.

وابتسمَت ولوَّحَت له ... وسارَت بخطوات رشيقة. ووقف البروفيسور يتنسم رائحة الماء والهواء ... وطاف بذهنه صورةُ حفيدِه ذي الثلاث سنوات ... والتي أصرَّ على أن

يحملَها معه في سفره، وأخرج صورة الحفيد المنقوشة فوق دائرة من النحاس ... وابتسم للوجه الطفولي الرائق الملامح.

ووقف يتأمَّل الصورة لحظة ... ثم أعادها إلى جيبه في صدره ... واستدار ليعود من حيث أتى، ولكنَّ عينَيه تسمَّرتَا على ذلك الشخص صاحب المعطف الثقيل ... والنظارة السوداء ... والقبعة التي أخفَت ملامحه.

وأخرج صاحب المعطف الثقيل يدَه من جيبه ... وفيها مسدسٌ صغير قد ركَّب له كاتمًا للصوت. وقبل أن يصرخ البروفيسور أو يستنجد بإنسان ... انطلقَت رصاصتان تجاه البروفيسور ... وسقط البروفيسور على الأرض ... وتدحرج جسدُه نحو النهر الجاري من أسفل. وكان لسقوط جسد البروفيسور في الماء صوتٌ ثقيل ... لم يلفت انتباهَ أحد. وحمل التيار ضحيتَه بعيدًا ...

وأعاد صاحب المعطف الثقيل مسدسه إلى جيبه ... وابتعد عن المكان بخطوات ثقيلة ... دون أن يحسَّ به إنسان.

رصاصةٌ في القلب!

كان الاستدعاء عاجلًا وملحًّا.

وخلال عشر دقائق ... كان الشياطين يأخذون أماكنهم في قاعة الاجتماعات، كانوا ستة فقط ... «أحمد»، و«إلهام»، و«عثمان»، و«قيس»، و«خالد»، و«ريما» ... وتبادل الشياطين الستة النظرات. كانت ساعة الحائط أمامهم تُشير إلى الثالثة فجرًا ... وكان ذلك يعني أن المهمة التي سيُكلَّفون بها ... تحمل أكبرَ درجة من الخطورة والسرعة.

وجاء صوت رقم «صفر» يقول: تفضلوا بالجلوس!

جلس الشياطين الستة في صمت ... وظهر رقم «صفر» ... وهو يأخذ مكانه في ركنه المظلم. كانت ملامحه الغارقة في الظلام تعكس تجهُّمَه وضيقَه. ومرَّت لحظة ... ثم قال: إنني آسف لإزعاجكم وإيقاظكم من نومكم ... ولكنَّ المسألةَ لم تكن تحتمل أيَّ تأخير ... فهي مسألة حياة أو موت. ومن المؤسف أن ضحايا كثيرين قد سقطوا ... دون أن نتمكن من حمايتهم أو إنقاذهم ... ودون أن تُتاحَ لنا الفرصة لذلك ...

وراح رقم «صفر» يقلب في أوراق أمامه ... وبدأ صوتُ حفيفِ الورق في ذلك الصمت القاتل ... كأنه صوتٌ مدوٍّ. وتوقَّفَت أصابع رقم «صفر» عن الحركة ... وقال: إننا نخوض صراعًا من نوع جديد هذه المرة ... صراعًا واضح الهدف ... وإن كانت الأصابع المختفية خلفه غير واضحة ... ولم نَصِل إلى معرفتها أو حقيقتها حتى الآن.

وضغط على زرٍّ أمامه ... فبدأَت أجهزةُ العرض السينمائي في العمل، وارتسمَت صورة البروفيسور المغربي «أحمد مرزوق» على الشاشة ... وتحت الصورة انطبعَت بعض المعلومات عن شهاداته العلمية وحياته.

قال رقم «صفر»: هذا العالم المغربي العربي ... كان يعتبر نابغةً في أبحاث الطاقة النووية السِّلمية، وكانت له جهودٌ خاصة في تطويع هذه الطاقة وزيادة مقدرتها ... بحيث

إنه كان بالإمكان استخدام انشطار نووي صغير في إنتاج طاقة كهربائية عالية جدًّا ... تكفي لإنارة مدينة القاهرة وكل استخداماتها. وكانت أبحاثه في زيادة الطاقة المستخرجة من الانشطار النووي السلمي ... كفيلةً بفتحٍ جديد في استخدام الطاقة النووية السلمية، وأنتم تعرفون أن هناك أكثرَ من مشروع لإنتاج الكهرباء من الانشطار النووي السلمي في مصر ... وكان هناك اعتمادٌ كبير على أبحاث البروفيسور «أحمد مرزوق».

وصمت رقم «صفر» ... وتساءلت «إلهام»: إنك تكرِّر كلمةَ كان باستمرار يا سيدي ... فهل حدث شيء ما أوقف أبحاث البروفيسور «مرزوق»؟

ردَّ رقم «صفر»: لقد قُتل!

جاءت عبارة رقم «صفر» مثل طلقة الرصاص ... وتصاعدَت أنفاس الشياطين ... فإن مثل ذلك البروفيسور العربيِّ ... لا يمكن تعويضه ولا بمئات الملايين، وأكمل رقم «صفر» في هدوء: لقد قُتل البروفيسور مساء أمس في مدينة «نيويورك» بالرصاص ... ومن المؤكد أن قتْلَه كان بغرض إيقاف أبحاثه وتجاربه؛ حتى لا تستفيدَ منها مصر في مفاعلاتها النووية السلمية ... ولا كل الدول العربية بالطبع.

تساءل «عثمان» في غضب: وهل أمسكتم بالقاتل؟

رقم «صفر»: حتى هذه اللحظة لا. إننا حتى لا ندري الجهة التي يعمل لحسابها القاتل أو القتلة ... فهناك أكثر من جهة يهمُّها إيقاف تقدُّمِنا العلمي. وتخطيط عمليات القتل وسرعة تنفيذها ودقتها ... تؤكِّد وجودَ تنظيم كبير خلفها ... وليس مجردَ شخص أو منظمة عادية!

تساءل «أحمد»: هل هناك أكثر من عملية اغتيال يا سيدي؟!

ضغط رقم «صفر» على زرِّ آلة العرض ... فاختفَت صورة البروفيسور المغربي ... وارتسمَت على الشاشة صورةُ العالم اللبناني العبقري «أنطوان سعيد» ... وعلى الفور قالت «إلهام»: هذا هو العالِم اللبناني «أنطوان سعيد» ... الذي تُلقِّبه الصحف الغربية بالعبقريِّ بسبب نبوغه الفائق. وبعض الجهات العلمية تُموِّل أبحاثه في لندن بسخاء انتظارًا لنتائج أبحاثه. كذلك ... تفعل بعض الدول العربية.

رقم «صفر»: يبدو أن نتيجة هذه الأبحاث لن ترى النور أبدًا ... فقد قُتل «أنطوان سعيد» بانفجار سيارته ... والفاعل مجهول أيضًا!

أغمضَت «إلهام» عينَيها في غضب ... وقالت: هؤلاء القتلة المجرمون.

مرة ثالثة ... انطبعَت صورةٌ جديدة على الشاشة ... وهتف «عثمان»: هذه صورة العالِم السوداني الفذ الدكتور «صالح الطيب» ... أرجو ألَّا يكون قد حدث له مكروه!

أجاب رقم «صفر»: لقد مات مسمومًا هو الآخر في «برازيليا» ... بعد أن أوشك على الانتهاء من أبحاثه حول استخدام تربة الغابات في الزراعة، وهو الأمر الذي كان سيُفيد السودان ... ودولًا أخرى عديدةً من دول الغابات ... في زراعة غاباتها بتكلفة لا تُذكَر. ولقد اختار القتلة اللحظة الحاسمة للتخلص من الدكتور «صالح» ... وقبل إعلان نتائجه.

ظهر غضب هائل على وجه «عثمان» ... وهتف: أُقسم أن أنتقم لمقتله ... من هؤلاء السفاحين. وتقلَّصَت أصابعُه السمراء في غضب شديد.

وأخيرًا ... ارتسمَت صورة البروفيسور «أدهم الدسوقي»، وضاقَت عينَا «أحمد» ... وقد تذكَّر ملامح البروفيسور ... وكان قد شاهد صورتَه مراتٍ عديدةً في صحُف ومجلات عربية وأجنبية ... وقرأ عن أبحاثه وتجاربه في زراعة الصحراء بمواد آزوتية بتكلفة قليلة.

وقال رقم «صفر»: لا شك أنكم قد تعرَّفتم على البروفيسور المصري «أدهم الدسوقي» ... لقد تحوَّل إلى بطل في الأسابيع الأخيرة؛ بسبب قرب انتهاء أبحاثه التي ينتظرها الملايين ... هنا في مصر وكل دول العالم الصحراوية للاستفادة من أبحاثه في زراعة الصحراء ... لإطعام ملايين البشر الذين يتزايدون باستمرار فوق رقعة ضيقة من الأرض.

احتقن وجهُ «أحمد» رغمًا عنه ... وتساءل: وهل قُتل البروفيسور «أدهم» أيضًا؟!

أجاب رقم «صفر»: لقد أطلقوا عليه الرصاص أيضًا.

وساد صمتٌ كئيب بعد كلمات رقم «صفر» ... وتلاقَت نظراتُ الشياطين الستة في غضبٍ وتحدٍّ؛ فقد تحدَّدَت مهمتُهم ... وهي الكشف عن القتلة وعقابهم.

قال رقم «صفر» ... قاطعًا لحظات الصمت: لا شك أنكم قد استنتجتم هدفَ هذه الاغتيالات!

فهناك يدٌ خفية يهمُّها وقفُ نموِّنا الاقتصادي ... وأيِّ تطور يُفيد اقتصادَ عالَمِنا العربي. سواء بزيادة الطاقة اللازمة للصناعة ... أو زيادة أرضنا المزروعة حتى تزداد حاجتنا ... ونستمر في الاعتماد على العالم في استيراد طعامنا وأجهزتنا.

إلهام: وهل ضاعَت نتائج أبحاث هؤلاء العلماء «العباقرة» بموتهم ... أو استولى عليها المجرمون القتلة؟

رقم «صفر»: لا ... لم يحدث هذا ولا ذاك؛ فالقتلة كانوا يعرفون ... ولا شك ... أن ضحاياهم لم يكونوا يحتفظون بنتائج أبحاثهم في متناول أيديهم؛ ولذلك لم يبذل القتلة أيَّ مجهود في البحث عنها. لقد كان هؤلاء العلماء ... بدافع من وطنيتهم ... يقومون بإرسال نتائج هذه الأبحاث أولًا بأول إلى أوطانهم؛ للاستفادة بها إذا ما جرى لهم مكروه. ونحن

من جانبنا ... وبمزيد من الجهد ... يمكننا إكمال هذه الأبحاث والتجارب الناقصة بفضل علمائنا. فهذه ليست المشكلة!

قيس: إن المشكلة هي منع القتلة من قتل هؤلاء العلماء العرب ... أليس كذلك؟

رقم «صفر»: هذا صحيح تمامًا؛ فلن نترك دم هؤلاء العلماء يضيع سدًى ... كما لم نتركهم يمارسون إرهابهم ... وقتل أبنائنا من العلماء ... ولا بد من أن يدفع قتلتُهم الثمن. أيضًا ... فإن تركنا هؤلاء المجرمين بلا عقاب ... سيشجعهم على المزيد من أعمالهم الإجرامية. أما الاقتصاص منهم ... فسيُوقفهم عند حدِّهم. خاصة أن هناك المئات من علمائنا منتشرون في دول عديدة ... يقومون بأبحاث وتجارب علمية ... ويمكن أن يتعرَّضوا لنفس المخاطر ... إذا لم نُسارع بكشف القتلة والقصاص منهم!

خالد: ومن أين ستبدأ مهمتنا؟

رقم «صفر»: من باريس ... إنها محطة البداية بالنسبة لكم!

أحمد: إذن ... فمن المؤكد أن هناك معلومات عن وجود هؤلاء القتلة وتنظيمهم في باريس.

رقم «صفر»: حتى هذه اللحظة ... فنحن لا ندري شيئًا عن هذا التنظيم؛ لأنه ظهر فجأة ... وليست لدينا أية معلومات عنه. ومهمتُكم هي جمعُ هذه المعلومات.

قال «عثمان» بدهشة: وكيف نبدأ من لا شيء؟! إن باريس مدينةٌ كبيرة ... يعيش فيها الملايين ... فكيف سنهتدي إلى هدفنا؟!

أجاب رقم «صفر»: إن الوسيلة سهلة ومؤكدة ... إنها البروفيسور «أدهم الدسوقي».

إلهام: ولكن ... البروفيسور قد قُتل ... فكيف يكون هدفنا؟!

قاطعها رقم «صفر» ... قائلًا: لقد قلتُ إن البروفيسور «أدهم» قد أُطلق الرصاص عليه ... ولكنني لم أَقُل أبدًا إنه قُتل!

وساد صمتٌ بعد كلمات رقم «صفر» ... وتبادل الشياطين النظراتِ المندهشة، وأكمل رقم «صفر» بعد لحظة: من المؤكد أن القتلة في هذه المنظمة محترفون ... وأنهم لا يُخطئون أهدافهم ... وقد تم إطلاق رصاصتَين على البروفيسور ... فقد أصابَت هدفها بالضبط ... ولكن ... وبسبب الحظ الحسن ... فقد كان البروفيسور يحتفظ بصورة منقوشة على النحاس لحفيده، يحتفظ بها في جيب بصدره مكان القلب تمامًا. وقد استقرت الرصاصة في الصورة النحاسية ... فلم تلمس القلب. وكانت صدمة إطلاق الرصاص على البروفيسور سببًا في نجاته؛ فقد اختل توازنه وسقط على الأرض، وتدحرج حتى نهر السين ... وحمله

التيار بعيدًا ... فظن القاتل أنه قد تخلص من ضحيته، ولكن البروفيسور تحامل على نفسه ... وسبح حتى الشاطئ ... ولجأ إلى أقرب مركز شرطة، وهو الآن يُعالَج تحت حراسة مشددة ... في أحد مستشفيات باريس ...

ريما: ولكن يجب عودة البروفيسور إلى مصر فورًا ... فحياته في خطر! ...

أجاب رقم «صفر» على الفور: ولهذا أرسلكم إليه ... لحمايته من أي خطر يتعرَّض له ... ولكي تصلوا إلى المنظمة التي قامت بتلك الاغتيالات ... فمن المؤكد أنهم سيحاولون التخلص من البروفيسور مرة أخرى. وفي هذه الحالة ... ستكونون موجودين بالقرب منه لحمايته ... وللتعامل مع القتلة!

هتف «أحمد»: سوف يكون انتقامُنا منهم شديدًا!

إلهام: مَن قتَل يُقتَل ... ولو بعد حين!

رقم «صفر»: لقد تمَّ إخطار البروفيسور «أدهم» بمهمَّتِكم ... وسوف يغادر المستشفى بعد وصولكم حتى يكون في حمايتكم.

عثمان: ومتى سنسافر؟

رقم «صفر»: بعد نصف ساعة ... ستستقلُّون طائرة إلى «باريس»، وأتمنَّى لكم النجاح والفوز ... وتلقين أعدائنا درسًا غاليًا! ...

التمعَت عينَا «عثمان» بغضب وحماس ... وهو يقول: ثِق أننا سنفعل يا سيدي ... ولن يتسع الوقت لأعدائنا ليُبلغوا الآخرين بالجحيم الذي سيذوقونه على أيدينا ... قبل أن نُرسلَهم إلى جهنم، فسوف تكون رصاصاتُنا في القلب تمامًا ... ولن نُخطئَ الهدف بأيِّ حال من الأحوال!

محاولة أخرى للقتل!

توقَّفَت سيارة رينو حديثة أمام أبواب مستشفى «سان ماري» في قلب باريس ... وهبط من السيارة الشياطين الثلاثة ... «أحمد»، و«إلهام»، و«عثمان» ... وبدَوا من ملامحهم العربية أنهم أغراب عن العاصمة «الباريسية» ...

وهمسَت «إلهام» لـ «أحمد»: ألن يكونَ منظرُنا لافتًا للانتباه ... إذا كان هناك مَن يراقب المكان انتظارًا لخروج البروفيسور «أدهم» من المستشفى؟

أحمد: بل هذا ما نريده بالضبط ... لفْت انتباه هؤلاء القتلة ... فلا شك أنهم سيعرفون أن وجودَنا بجوار البروفيسور سيكون لحمايته ... ولأنهم محترفون فسوف يدفعهم هذا إلى التحدِّي ومواجهتنا!

عثمان: أرجو ألَّا يطولَ انتظارُنا ... فإنني أشتعلُ غضبًا لمقابلة هؤلاء المجرمين القتلة!

وألقى نظرة خاطفة نحو المستشفى ... كان كلُّ شيء يبدو هادئًا ساكنًا ... وتحرَّك الشياطين الثلاثة داخلين المستشفى نحو مكتب الاستعلامات، وسألت «إلهام» الموظف المسئول عن حجرة البروفيسور «أدهم»، فقال لها: إنه يرقد في الحجرة رقم (٤١٣)، ولكن غير مسموح لأحد بزيارته.

إلهام: إننا نحمل تصريحًا خاصًّا بذلك من الشرطة الفرنسية.

وأبرزَت له التصريح ... الذي أعطاه لهم رقم «صفر» ... فتأمَّله الموظف، وقال: عليكم بإبرازه لضباط الحراسة أمام حجرة البروفيسور ليسمح لكم بالدخول ...

صَعِد الشياطين إلى الطابق الرابع ... واتجهوا نحو الحجرة ٤١٣ ... وعندما شاهد ضباطُ الأمن الفرنسيون التصريحَ سمحوا للشياطين الثلاثة بالدخول ...

وكانت حجرة البروفيسور من الداخل بلا نوافذ ... وكان يبدو بحالة طيبة ... وصافح الشياطين البروفيسور بعد أن قاموا بتعريف أنفسهم ... فأغمض البروفيسور عينَيه لحظةً في ارتياح، وقال: الآن فقط بدأتُ أشعر بالأمان والراحة.

إلهام: وهل تشكُّ في أحدٍ من المحيطين بك؟

البروفيسور: مَن يدري! لعل أحدَ عملاء هؤلاء القتلة مندسٌّ ضمن أفراد الشرطة الفرنسية ... أو أي شخص آخر!

أحمد: هل تلقَّيتَ أيةَ تهديدات بالقتل من قبل؟

البروفيسور: لا ... على الإطلاق ... ولكني لاحظتُ أن هناك مَن يراقبني منذ أيام، كأنهم كانوا يسجِّلون تحركاتي.

أحمد: هذا طبيعي ... حتى يعرفوا الوقت المناسب للتخلص منك بلا ضجة!

إلهام: ولكن هل لمحتَ القاتل؟

البروفيسور: إنه شخص طويل عريض ... بادي القوة ... ولكني لم أميِّز ملامحه بسبب نظاراته العريضة وقبعته والظلام الذي كان منتشرًا في المكان ... ومن المؤكد أنه قاتل محترف؛ فقد أطلق عليَّ الرصاصَ ببساطة كما لو كان يتناول طعامه!

تبادل الشياطين النظراتِ في صمت ... وقال «عثمان»: لقد عرفنا أن لك سكرتيرة فرنسية كانت معك قبل الحادث بقليل ... هل تشكُّ فيها؟

هتف البروفيسور: إطلاقًا ... إنها فتاة رقيقة لا يمكن أن يكون لها أية علاقة بهذه العملية ... بالإضافة إلى أنها تعمل معي منذ وقت طويل.

وشحب وجهُ البروفيسور، وقال: هل سأتعرض لمحاولة قتل مرة أخرى؟!

أجابه «أحمد» في ثقة: لا تخشَ شيئًا، فسنكون بجوارك دائمًا ... وسنحميك من أيِّ خطر ... سوف أكون حارسك الشخصي، وسأُلازمك كظلِّك ... وستحل «إلهام» مكان سكرتيرتك ... وسيُصبح «عثمان» سائقَك الخاص. وهناك مجموعة أخرى ستعمل عن قرب، ولن تجعلك تغيب عن عينَيها!

البروفيسور: وهذا معناه أنني سأتعرض للخطر مرة أخرى!

إلهام: كان بالإمكان إعادتك إلى مصر ... ولكن هذا سيضيع منَّا الخيط الموصل لهؤلاء المجرمين، فيضيع دمُ زملائك هدرًا ... ويكون موتهم بلا ثمن. أما بقاؤك في باريس ... فسيدفع المجرمين إلى مهاجمتك مرة أخرى ... وعندئذٍ ... سنكون بانتظارهم للانتقام لك وللآخرين.

سادَت لحظةُ صمت ... وجفَّف البروفيسور بعضَ حبات العرق الملتمعة على جبهته ... وكان هناك أثرُ خدش في الجبهة.

ونهض البروفيسور وهو يقول: من الأفضل أن أغادر المستشفى الآن.

أحمد: هذا أفضل بالفعل.

وتعاونوا في إخراج البروفيسور ... وحملَتهم السيارة «الرينو» الخاصة بـ البروفيسور إلى منزله ... وكان «عثمان» يقودها كسائق خاص ... على حين جلس «أحمد» في الأمام ... وجلس البروفيسور بجوار «إلهام» في الخلف، وكانت هناك سيارة «بيجو» راحَت تتبع «الرينو» على مسافة، وبداخلها ثلاثة أشخاص. ولاحظها ... البروفيسور، فقال في قلق: إن هناك سيارة تتبعنا منذ خرجنا من المستشفى!

إلهام: إنها تابعة لنا ... وبداخلها أصدقاؤنا.

ظهر الارتياح على وجه البروفيسور، وراح «عثمان» يقود السيارة نحو الشانزلزيه ... أرقى أحياء باريس ... وقلبها النابض بالحركة ...

كان الوقت مساءً ... وقد التمعَت واجهاتُ المحلات والفتارين بأشكال متنوعة من الإضاءة الملونة التي جعلَت الطريق يبدو كما لو كان عروسًا مجلوةً ليلة زفافها ... وقد أضاء حسنها.

وتساءل البروفيسور في قلق: كم شخصًا آخر قد مات؟

أحمد: ثلاثة ... في «نيويورك» و«برازيليا» و«لندن».

أغمض البروفيسور عينَيه متألِّمًا ... ثم تساءل بعد لحظة: ألم تعثر الشرطة في أيٍّ من هذه البلاد على دليل ضد القتلة؟!

إلهام: للأسف! فمن الواضح — كما قلتَ — أنهم محترفون يُجيدون عملَهم الإجرامي.

قال البروفيسور في رجاء: أرجو ألَّا تكونَ أسرتي قد عرفَت شيئًا عن الحادث ومحاولة اغتيالي ... فسيصابون بقلق شديد!

عثمان: لا تخشَ شيئًا؛ فإن صحافتنا تكتمَت النبأ!

وتوقَّف «عثمان» في إحدى الإشارات ... وتنبَّه إلى سيارة «مرسيدس» سوداء ... ذات ستائر مسدلة على نوافذها ... كان منظرها يبدو غريبًا ... سائقها المتجهم قد راح يرمق «عثمان» بنظرات باردة متفحصة ...

وقد اختفى ركاب السيارة خلف الستائر السوداء ... وظهر نور الإشارة الأخضر، وبدأ طابور السيارات في التحرك ... وشعر «عثمان» أن المرسيدس السوداء تَتْبعه ... فدار في طريق جانبي ... وفي الحال اندفعَت المرسيدس خلفه.

وهتف «أحمد» في «عثمان»: إن منزل البروفيسور بالقرب من قوس النصر ... حاول أن تنحرف عن الطريق الرئيسي!

أجابه «عثمان»: هناك سيارة تَتْبعنا ... لا تنظروا خلفكم مباشرة!

ساد الصمت داخل السيارة، وألقى «أحمد» نظرةً إلى مرآة السيارة العاكسة، فشاهد المرسيدس السوداء تَتْبعهم من الخلف، ولا يبدو منها غير سائقها ... ومن خلفها ظهرَت سيارة بقية الشياطين ...

تساءلت «إلهام»: هل تظنون أن هذه السيارة السوداء تَتْبعنا بالفعل؟!

عثمان: هذا مؤكَّد ... وقد جاء ركابها إلى سوء حظهم؛ فقد صاروا محاصرين بين سيارتنا وسيارة بقية الشياطين ... وسوف ...

وقطع حديثَ «عثمان» صرخةُ «إلهام»: حاذر يا عثمان!

وأسرعَت تدفع بـ البروفيسور أسفل المقعد، في نفس اللحظة التي انطلقَت فيها رصاصة من المرسيدس أصابَت مؤخرة السيارة الرينو في زجاجها ... مكان البروفيسور تمامًا ... ولولا أن دفعَته «إلهام» لأسفل لاستقرَّت الرصاصة في رأسه ... وضغط «عثمان» على فرامله بأقصى سرعته وقوته ... فتوقَّفَت الرينو بصوتٍ حادٍّ، وقفز «أحمد» من السيارة شاهرًا مسدسه ... ولكن المرسيدس اندفعَت تزأر كالوحش نحو «أحمد»، فقفز بعيدًا عنها ... وأطلق عدة رصاصات نحو السيارة وإطاراتها دون أن تُصيبَها بأذًى ...

هتفَت «إلهام»: إنها سيارة مصفحة!

أحمد: فلنُسرع خلفها.

وقفز بداخل السيارة، وانطلق بها «عثمان» في نفس الوقت الذي اندفعَت فيه سيارة الشياطين الأخرى خلف المرسيدس السوداء.

كان البروفيسور يبدو شاحبَ الوجه وخائفًا ... وأمسك بقلبه وهو يقول: إنني أكاد أُعاني من نوبة قلبية! إن قلبي ضعيفٌ، ولن يحتملَ أيَّ جهد بعد الآن!

قطَّب «أحمد» حاجبَيه لحظةً ثم التفت لـ «عثمان» قائلًا: فلنتجه إلى منزل البروفيسور لكي يرتاح.

عثمان: والمرسيدس السوداء!

أحمد: سنتركها لبقية الشياطين!

كاد «عثمان» يهتف محتجًّا ... ولكن نظرة واحدة إلى وجه البروفيسور الشاحب المتألم جعلَته يتجه بالسيارة نحو منزل البروفيسور وهو يُغمغم بصوت غاضب من بين أسنانه: سوف تكون هناك جولات أخرى قادمة ... وسيتضاعف الحساب مع هؤلاء المجرمين.

أما سيارة بقية الشياطين ... فكانت قد اندفعَت خلف المرسيدس المصفحة في مطاردة قاتلة ...

مطاردة قاتلة!

انطلقَت البيجو خلف المرسيدس السوداء ... و«قيس» يقود سيارة الشياطين بأقصى سرعتها ... على حين تأهَّب «خالد» بمسدس سريع الطلقات معه ... وكادَت البيجو تلحق بالمرسيدس ... وصوَّب «خالد» مسدسه نحو السائق ... ولكن «ريما» هتفَت بزميلها: لا تقتله يا «خالد» ... فمن المؤكد أنه يقود السيارة وحده ... وإذا قتلناه ضاع أيُّ دليل يُرشدنا إلى بقية زملائه!

خالد: وماذا سنفعل إذن؟! إن سيارته مصفحة ... ولن نستطيع إيقافها بإطلاق الرصاص عليها!

ريما: فلنظل على مطاردتنا له ... ونحاول إيقافَ سيارته بأية وسيلة.

اندفعَت المرسيدس السوداء تعبر نهر السين إلى الحي اللاتيني ... وسيارة الشياطين تَتْبعها بكل سرعتها.

وكان الحي اللاتيني مزدحمًا بالمشاة والسيارات ... ولم يكن من السهل أن تندفع فيه سيارة بكل سرعتها ... ولكن المرسيدس اندفعَت كالوحش ... غير عابئة بمن تصدمه من الناس ... على حين خفَّفت سيارة الشياطين من سرعتها حتى لا تتسبب في إيذاء أحد.

وأخيرًا تجاوزَت السيارتان الحيَّ اللاتيني ... وكانت المسافة بينهما قد تباعدَت ... وراحَت سيارة الشياطين تطوي الطريق خلف المرسيدس التي توقَّفَت على بُعد وقد أطلقَت كشافاتها ... أوقف الشياطين سيارتهم على مقربة ... وتسلَّحوا بالمسدسات وهم ينظرون نحو المرسيدس ذات الأضواء العالية من كشافاتها التي لا يظهر خلفها شيء.

همسَت «ريما»: لعل هناك كمين حول السيارة!

خالد: هذا مؤكد! سنقترب منها بالدوران حولها حتى لا يكشفَنا ضوءُ كشافاتها، وراح الشياطين الثلاثة يدورون حول السيارة حتى صاروا خلفها ... وظهرَت معالم المرسيدس ... خالية من أي إنسان ...

وتساءل «قيس» بدهشة: أين ذهب سائق هذه السيارة؟!

خالد: لعله أسرعَ بالهرب، وترك السيارة ليشغلنا بها عن مطاردته!

تلفَّت «قيس» حوله ... لم يكن هناك أيُّ أثر لسائق المرسيدس الهارب في ذلك الظلام المحيط بالمكان.

قالت «ريما»: دعونا نقوم بتفتيش هذه السيارة ... فقد نعثر على ما يُرشدنا إلى أصحابها أو إلى منظمة هؤلاء المجرمين.

وكادت تندفع نحو السيارة لولا أن هتف «خالد» بها: انتظري يا «ريما» ...

وأمسك بحجر صغير وألقاه نحو المرسيدس ... وما كاد الحجر يلمس السيارة المصفحة حتى دوَّى انفجارٌ هائل، وتحوَّلَت السيارة إلى كتلة من اللهب ... فأسرع الشياطين الثلاثة يُلقون بأنفسهم على الأرض ...

ورفعَت «ريما» رأسَها لاهثةً بعد لحظة، وهي تقول: لقد كانت السيارة ملغومة بحيث تنفجر فينا عند ملامستها!

خالد: هذا ما توقَّعتُه عندما شاهدتُ السيارة خالية من سائقها؛ فليس من المعتاد أن ينطلق أعضاء مثل هذه المنظمات الإرهابية لأي عملية وحدهم ... وحتى طريقتهم في تتبُّع سيارة البروفيسور كانت مكشوفة، ومحاولة قتل البروفيسور كانت فقط لدَفْعنا لكي نتتبَّعَ هذه السيارة إلى هنا ... فتنفجر فينا عندما نلمسها.

هتف «قيس»: يا لَها من خطة!

خالد: إنها خطة محترفين ... من المؤكد أن تلك المنظمة أو العصابة التي نسعى خلفها أخطر وأذكى مما نظن!

ريما: لا فائدة من بقائنا هنا ... فلنُسرع بمغادرة المكان ... فمن المؤكد أن عشرات من سيارات الشرطة ستَصِل إلى هنا حالًا بسبب صوت الانفجار!

وأسرع الشياطين الثلاثة إلى سيارتهم ... وانطلقوا بها ... على حين تعالَت من الناحية الأخرى أصوت سيارات الشرطة.

عندما استمع «أحمد»، و«عثمان»، و«إلهام» إلى ما حدث لبقية الشياطين ... ظهر الاهتمام على وجوههم، وقال «أحمد»: يبدو أن المعركة لن تكون معركة قوة فقط ... بل معركة ذكاء أيضًا!

إلهام: وعلينا أن نكون في منتهى الحرص والحذر!

وتساءلت «ريما»: وكيف حال البروفيسور؟

عثمان: إنه بخير ... وقد تناول دواء القلب ... وغَرِق في النوم.

خالد: حسنًا! سوف نتجه إلى المنزل الذي استأجرناه أمام مسكن البروفيسور ... وستكون مهمَّتُنا هي تأمين وحراسة المنزل من الخارج ... من أية محاولة لاقتحامه. أما مهمَّتُكم فهي تأمين حراسة البروفيسور من الداخل.

واتجه «خالد»، و«قيس»، و«ريما» خارجين نحو المنزل المقابل لمسكن البروفيسور ... والذي يُطلُّ على الطريق من خلال مراقبة المكان جيدًا ... وقام الثلاثة بتقسيم أنفسهم للمراقبة طوال الليل ...

أما بداخل منزل البروفيسور فقد راحَت «إلهام» تقيس نبضَ العالِم المصري ... وكان نبضُه يقترب من المعدل العادي ... وظهر الإرهاق على وجه «إلهام»، فقال «عثمان» لها: اذهبي إلى حجرتك ونامي ... فمنذ الأمس لم تحصلي على أيِّ قدر من الراحة.

إلهام: لا ... سأظل مستيقظة معكما إلى الصباح خشيةً من حدوث أية مفاجأة.

أحمد: لا أظن أن المفاجآت التي ستأتينا ستكون مكشوفة!

إلهام: ماذا تقصد يا أحمد؟

أحمد: إنها معركة ذكاء ... وعلينا أن نحاول توقُّع الخطوة التالية لهؤلاء المجرمين!

وفي رفق أضاف لـ «إلهام»: اذهبي للنوم ولا تخشَي شيئًا.

فاتجهَت «إلهام» إلى حجرتها ... وقضى «أحمد» و«عثمان» الليل ساهرَين يتناوبان الحراسة ... ولكن لم يحدث ما يعكِّر صفْوَ الليلة ... واستيقظَت «إلهام» مبكرة، فاطمأنَّت على الباقين، وألقَت نظرة من الشرفة، فشاهدَت «ريما» تُراقب الطريق ... فلوَّحَت لها «إلهام»، وعادت إلى «عثمان» و«أحمد».

قال «عثمان» في ضيق: من المؤسف أن شيئًا لم يقع الليلة ... هل تظنَّان أن هؤلاء المجرمين سيتوقَّفون عن مهاجمة البروفيسور ومحاولة قتله؟!

أحمد: لا أظن! إن هؤلاء المحترفين لا يزيدهم الفشلُ إلا إصرارًا ... خاصة بعد أن كشفنا خدعتَهم في السيارة الملغومة، وأعتقد أنهم سيبدءون هجومَهم مرة أخرى بأسرع مما نتوقع ...

وبعد قليل استيقظ البروفيسور، وكانت تبدو عليه معالم الصحة، فأسرع الشياطين الثلاثة يطمئنون عليه ... وبعد أن استمع البروفيسور إلى خدعة السيارة الملغومة ... عاد

وجهُه إلى الشحوب، ولم ينطق، وقال «أحمد» لـ البروفيسور: سوف نذهب معك إلى معملك ... لتمارس حياتك العادية.

أومأ البروفيسور برأسه موافقًا ...

واتجه الأربعة إلى سيارة البروفيسور، ومن الخلف ظهرَت سيارة بقية الشياطين ... ولكن الطريق كان خاليًا مما يريب.

وقبل أن يتَّجه البروفيسور داخلًا إلى معمله، قالت له «إلهام»: انتظر قليلًا يا سيدي ... فهناك ما يجب عمله أولًا!

وأخرجَت من حقيبتها جهازًا صغيرًا لكشف القنابل والألغام المزروعة ... ولكن الجهاز ظل على صمت و«إلهام» تُمرِّره في كل ركن من المعمل، وأخيرًا التفتَت إلى البروفيسور، وقالت ضاحكة: إن المكان آمن.

تنفَّس البروفيسور في ارتياح وبدأ عملَه ... وجلس الشياطين الثلاثة؛ «أحمد»، و«عثمان»، و«إلهام» على مقربة ... على حين كان بقية الشياطين في سيارتهم خارج المعمل يقومون بحراسته من الخارج.

وفجأة اقتربَت سيارة صغيرة، وتوقَّفَت أمام باب المعمل، فأسرع «خالد»، و«قيس»، و«ريما» نحوها ... وهبط من السيارة شخصٌ أنيق وسيم يحمل باقةَ وردٍ كبيرة معه ... وقال للشياطين باسمًا: إنني أحمل هذه الورود باسم السفير المصري إلى البروفيسور تهنئةً لنجاته ... فأنا سكرتير السفارة.

تبادل الشياطين الثلاثة الابتسام ... وكانت سيارة ذلك الشخص تحمل الأرقام الدبلوماسية ... وقال «خالد» للدبلوماسي المصري: تستطيع أن تحمل الورود إلى الداخل.

فاتجه السكرتير إلى الداخل ... وتناول البروفيسور الورود باسمًا، وقال للسكرتير: أرجو أن تنقل شكري إلى سيادة السفير.

السكرتير: سأفعل يا سيدي.

واتجه السكرتير خارجًا، وانطلق بسيارته مبتعدًا ... ووضعَت «إلهام» باقةَ الورد في ركن المعمل ... وظهرَت الدهشة على وجه «أحمد» وهو يفكر ... لماذا لم يُرسل باقة الورد إلى المستشفى الذي كان يرقد به البروفيسور «أدهم» أثناء إقامته به؟ ولماذا لم يُرسلها أيضًا إلى منزله؟ وكيف عَلِم أنه عاد إلى معمله، فأرسل باقة الورد إليه هنا؟!

اقترب «أحمد» من باقة الورد في شك، وراح يتفحَّصها ... كان بداخلها نتوءٌ بارز مغطًّى بورق السوليفان الفضي ... وأسرع «أحمد» ينزع ورقَ السوليفان والباقون ينظرون إليه بدهشة.

وكان توقُّع «أحمد» في محلِّه ... فلم تكن باقة الورد مرسلة من السفير المصري ... ولا كان حاملها هو سكرتير السفارة.

فبداخل الورق المفضض كانت هناك قنبلة زمنية، وكان ميعاد تفجيرها ثانية واحدة فقط!

الخدعة!

ألقى «أحمد» بالقنبلة من نافذة المعمل إلى الحديقة في اللحظة المناسبة تمامًا ... وما كادَت تلمس الأرض حتى دوَّى انفجار هائل في المكان.

وهتفَت «إلهام» في ذهول: يا إلهي ... لو أنكَ تأخرتَ لحظة واحدة في اكتشاف حقيقة هذه القنبلة وإلقائها بعيدًا لكنَّا من ضحاياها!

وصاح «عثمان» في غضب: هؤلاء المجرمون ... هل سنظل هكذا ننتظر حِيَلَهم وألاعيبَهم للتخلُّص منَّا؟!

قال «أحمد» مقطِّبًا حاجبَيه: كان علينا اكتشاف حقيقة ذلك الشخص الذي أتى بباقة الورد ... ولولا أنني شككتُ فيه ... لحدث لنا ما لا يُحمَد عقباه!

واندفع بقية الشياطين؛ «خالد»، و«قيس»، و«ريما» داخلين إلى المعمل وهم يلهثون، وهتف «خالد» يسأل: ماذا حدث، وما سبب انفجار هذه القنبلة؟

أجابه «أحمد»: لقد كانت باقة الورد تحتوي عليها ... ولا شك أن مَن حملها إلينا كان أحدَ أفراد هذه المنظمة الجهنمية التي تسعى خلف علمائنا!

ضاقَت عينَا «خالد»، وقال: لقد شككتُ في هذا الأمر بالفعل ... ولذلك قمتُ بوضع جهاز لإرسال إشارات في مؤخرة سيارة ذلك المزيف!

هتف «أحمد»: ماذا قلتَ يا خالد؟!

خالد: هذا هو ما حدث بالفعل ... وراكبُ تلك السيارة لا يعرف بما فعلتُه ... ولا بد أن الجهاز يعمل بصورة جيدة، ويُرسل بإشاراته لتحديد مكان السيارة بداخل باريس!

عثمان: إذن ماذا تنتظر ... هيَّا بنا إلى سيارتكم التي تحتوي على جهاز الاستقبال الضوئي لمطاردةِ سيارةِ هذه المنظمة ومعرفةِ مقرِّها.

واندفع الجميع هابطين لأسفل، ولكن «أحمد» صاح في «إلهام»: فلتبقَي مع البروفيسور للطوارئ!

هزَّت «إلهام» رأسَها موافقة ... واندفع «أحمد»، و«عثمان» إلى سيارة البروفيسور، والباقون إلى سيارة الشياطين. وبداخل السيارة راح جهاز الاستقبال الضوئي يُرسل نبضاتٍ تُبيِّن مكان سيارة المنظمة ...

وهتف «خالد»: إن السيارة تتجه نحو ميدان النجمة!

قيس: إذن، هيَّا بنا.

وانطلقَت سيارة الشياطين إلى الأمام، وخلفها سيارة البروفيسور يقودها «عثمان» وبجواره «أحمد».

وزادَت السيارتان من سرعتهما ... ونظر «خالد» في ساعته، وقال: إن المسافة الفاصلة بيننا لا تزيد عن خمس دقائق بالسيارة ... أو عشرة كيلومترات.

ولم يكن «قيس» بحاجة لمن يطلب منه زيادة سرعة سيارته؛ فقد كان يقود السيارة بسرعة فائقة، بينما جهاز الاستقبال الضوئي ينبض مشيرًا إلى اتجاه سيارة المنظمة ... وقال «خالد»: إن السيارة تتجه خارج باريس.

ريما: هذا أفضل ... فهو يُتيح لنا حرية الحركة بصورة أكبر.

وأخيرًا توقَّفَت النبضات الضوئية، فهتف «خالد»: لقد توقَّفَت سيارة المنظمة على مسافة صغيرة من مشارف باريس!

ريما: لا بد أن هناك مقرَّ المنظمة.

قيس: سوف يكون انتقامنا رهيبًا!

خالد: أرجو ألَّا يكونَ رجال المنظمة قد انتبهوا إلى أن القنبلة لم تنفجر بداخل المعمل ... حتى تكون مفاجأتُنا لهم صاعقة!

ريما: من المؤكد أن هذه المنظمة لديها إمكاناتٌ هائلة، بدليل امتلاكهم لتلك السيارة التي تحمل أرقامًا دبلوماسية!

خالد: مَن يدري ... لعل هناك دولة إرهابية تُساندهم وتقف خلفهم، وهي التي منحَتهم تلك السيارة حتى لا نشكَّ فيها!

وظهرَت مشارف «باريس» ... وسيارة الشياطين تندفع بأقصى سرعتها، وخلفها سيارة البروفيسور.

وزادَت الإشارات الضوئية قوة ... وأشارت «ريما» إلى منزل خشبي من طابقَين على البعد، وقالت: هذا هو المكان ... وهذه هي السيارة الدبلوماسية.

أوقف «قيس» سيارتَه قائلًا: من الأفضل أن نقترب متسللين، ونقتحم المنزل في مفاجأة قاتلة لمن بداخله.

ولكنه ما كاد ينطق بذلك حتى اندفع من خلف المنزل الخشبي عشرة مسلحين بالبنادق الرشاشة ... واندفعوا نحو السيارتين وهم يُطلقون نيرانهم الكثيفة.

وهتفت «ريما»: فلنُسرع بالابتعاد يا «قيس»!

وضغط «قيس» على دواسة البنزين، فانطلقَت السيارة تزأر مبتعدةً عن طلقات الرصاص ... فقد كانوا صيدًا سهلًا للمسلحين وهم بداخل سيارتهم ... وأي رصاصة قد تُصيب خزان البنزين قد تتسبَّب في اشتعال السيارة وتفجيرها. ولم يكن «عثمان» بحاجة إلى نفس التحذير ... فانطلق بسيارته مبتعدًا وهو يدور بها بسرعة متحاشيًا طلقات الرصاص ...

وفتح «أحمد» باب السيارة، وقفز منه إلى الأرض العشبية، وتدحرج فوقها، ثم اختفى خلف صخرة كبيرة وهو بلا سلاح.

وأوقف «قيس» سيارة الشياطين على مسافة ... وقفز منها مع «ريما» و«خالد»، وفعل «عثمان» نفس الشيء وانضم إليهم.

كان الشياطين مسلحين بالمسدسات فقط ... وقالت «ريما» في غضب: لا بد أن هؤلاء المجرمين كانوا يراقبون الطريق، فلم نُفاجئهم!

ودوَّى صوتٌ من أحد المسلحين يقول بالفرنسية: من الأفضل لكم أن تستسلموا بدلًا من أن نحصدَكم برشاشاتنا!

وجاوبَته «ريما» بطلقة من مسدسها ... فسقط الرجل يتلوَّى من الألم ... وبدأت المعركة ... كان «أحمد» الأقرب إلى المسلحين، وهو مختفٍ خلف الصخرة ... وما كاد يقترب منه أحد المسلحين حتى قفز إليه «أحمد»، وصوَّب له ضربة هائلة أطاحَت بالرجل في عنف شديد إلى الوراء ...

والتقط «أحمد» المدفع الرشاش الذي سقط من المسلَّح ... وأسرع يحتمي خلف الصخرة مرة أخرى بعيدًا عن طلقات الرصاص التي انهالَت عليه كالمطر.

وصوَّب «أحمد» مدفعه الرشاش، وراح يُطلقه ... وأخذ المسلحون يتقهقرون إلى الخلف ليحتموا بالمنزل الصغير ...

وأشار «أحمد» لزملائه، وراح الشياطين الخمسة يقتربون محاذرين، وطلقاتُ الرصاص تسقط فوق رءوسهم، ووصل الشياطين أمام أبواب المنزل ... ووقفوا متأهبين لاقتحامه، بعد أن احتمى بداخله المسلحون.

وما كاد الشياطين يندفعون داخل المنزل حتى تهاوى سقفُه فوقهم، وانهالَت الأحجار والأخشاب الثقيلة فوق رءوسهم.

وصرخَت «ريما»: إنها خدعة أخرى ... دعونا نغادر هذا الجحيم!

وقفز الشياطين في اللحظة المناسبة ... وانهار المنزل أمام أعينهم، وقد غطَّاهم الغبار والتراب ...

عثمان: لو أننا تأخرنا لحظة واحدة لكان مصيرُنا تحت أنقاض هذا المنزل. وهتف «خالد» في غضب: هؤلاء المجرمون لا تنتهي حِيَلُهم ... لقد قاموا باستدراجنا إلى هذا المنزل لكي يهدموه فوق رءوسنا.

تلفَّت «أحمد» حوله، وقال: ولكن أين ذهب المسلحون الذين احتموا بداخل المنزل؟!

قيس: لا بد أن هناك منفذًا سريًّا يؤدي إلى مكان بعيد من هنا!

وبالفعل فما كاد «قيس» ينتهي من عبارته حتى سَمِع الشياطين صوتَ أكثر من محرك سيارة وهو يدور، وعلى البعد شاهدوا أربع سيارات وهي تنطلق مبتعدةً عن المكان حاملةً بداخلها المسلحين.

هتفت «ريما»: دعونا نطارد هؤلاء المجرمين.

واندفع الشياطين نحو سيارتَيهم، ولكن كانت إطارات السيارتَين مفرغة من الهواء بعد أن استغل المسلحون انشغالَ الشياطين عنهم، فقاموا بتفريغ إطارات السيارات ...

صاح «عثمان» في غضب شديد: هؤلاء المجرمون ... خدعونا مرة أخرى، وأفرغوا إطارات السيارتَين!

ريما: سوف يستغرق إعادة ملئها بالهواء وقتًا طويلًا ... ولكن ليس أمامنا غير ذلك!

قال «خالد» في حيرة: ولكن ... لماذا تصرَّف المسلحون بهذا الشكل؟! هل كانوا يخشَون من مطاردتنا لهم، فأفرغوا إطارات سيارتَينا؟

لمَعَت عينَا «أحمد»، وقال: لا أظن ذلك ... بل إن ما حدث جزءٌ من خدعة أكبر ... فقد أرسلوا لنا الورود وهم يتوقعون أننا سنكتشف وجودَ القنبلة الزمنية بداخلها، فنسعى إلى مطاردة السيارة الدبلوماسية، وهو ما حدث ... وكان هدمُ المنزل فوق رءوسنا لمجرد شغلنا حتى يتمكنوا من تفريغ إطارات سيارتَينا حتى لا نُسرع بالعودة إلى باريس ... والبروفيسور «أدهم»!

هتفَت «ريما» في خوف: هل تقصد أن ...

قاطعها «أحمد» في ألمٍ قاتل: هذا هو ما حدث بالفعل ... لقد استدرجونا إلى هنا لكي ينفردوا بـ «إلهام» والبروفيسور، فيقوموا باختطافهما أو قتلهما ... على حين نظل نحن

هنا عاجزين عن أيِّ فعل، وحتى إذا ما تمكنَّا من إعادة ملء إطارات سيارتَينا بالهواء ... فسنصل إلى البروفيسور و«إلهام» متأخرين جدًّا!

وخبط باب سيارته بقبضة رهيبة لشدة غضبه.

ضغط «عثمان» على أسنانه، وهتف في غضب قاتل: إننا لن نقف هنا مكتوفي الأيدي، وسنبحث عن أي سيارة تنقلنا إلى باريس.

واندفع إلى الطريق العام، ولكن ... لم تكن هناك أي سيارات مارة في ذلك المكان الريفي ...

وأخيرًا ... لاحَت سيارة قادمة على البُعد ... وهي تقترب ببطء، فاندفع «عثمان» نحوها ليقطع عليها الطريق ... شاهرًا مسدسه.

وما كادت السيارة تقترب ويتبيَّن معالمها حتى أصابَته الصدمة بذهول شديد ... فقد كانت السيارة القادمة هي سيارة لنقل الخضراوات ... يجرُّها حصان هزيل يكاد يسقط على الأرض من شدة الإعياء ...

الاختطاف!

راحَت الدقائق تمرُّ بطيئة ... وشعرَت «إلهام» وهي تنظر في ساعتها؛ فقد تأخر زملاؤها في العودة ... وتساءلَت في قلق: هل خاضوا معركة مع رجال تلك المنظمة الإرهابية؟ وماذا كانت نتيجة الصراع ... وأين وقع هذا الصراع؟

لكنها كتمَت مشاعرها، وحاولَت التماسك أمام البروفيسور «أدهم».

فجأةً دقَّ جرس الباب ... وأسرعَت «إلهام» تُخرج مسدسها، وهتفَت في البروفيسور: فلْتَحْتمِ بحجرتك حتى أرى مَن يكون الطارق.

اتجهَت في حذر نحو الباب ... وتساءلَت: مَن الطارق؟

ولكنها لم تسمع أيَّ ردٍّ! ونظرَت من العين السحرية فلم تشاهد أحدًا ... فظهرَت الدهشة على وجهها، وتساءلت: تُرى هل تخيلتُ سماعَ جرس الباب؟!

فتحَت الباب محاذرة ... ولكن لم يكن هناك أحد بالخارج، وألقَت نظرة إلى السلَّم والحديقة، لم يكن هناك أيُّ شخص على الإطلاق ...

فجأةً سمعَت صوتَ صرخة خافتة من الداخل، واندفعَت نحو حجرة البروفيسور، فشاهدَت شخصًا عريض المنكبين بملامح حادة، وقد صوَّب مسدسه نحو البروفيسور المرتعب ...

صاح الرجل في «إلهام»: ألقِي مسدسكِ على الأرض ... وأية محاولة للمقاومة سوف يدفع ثمنَها البروفيسور.

ظهر التردد لحظةً على وجه «إلهام»، وحانَت منها نظرة إلى نافذة الحجرة، فأدركَت كيف تمكَّن ذلك المسلَّح من دخول المكان ... وكان جرس الباب مجرد خدعة لإبعادها عن البروفيسور حتى يمكن السيطرة عليه.

ألقَت «إلهام» مسدسها على الأرض ... وفي نفس اللحظة اندفع ثلاثة مسلحين آخرون من الباب ... شاهرين مدافعهم الرشاشة وهم يضحكون ساخرين ... وقال المسلح الأول ساخرًا: لقد كانت خدعة صغيرة ولكنها ممتازة ... وقد تمكنَّا بواسطتها من إيقاعك أنتِ والبروفيسور بلا مشاكل ... أيضًا فإن الآخرين قمنا معهم بخدعة أخرى، ولن يستطيعوا العودة قبل وقت طويل ...

شحب وجهُ «إلهام»، وتساءلت: تُرى هل كان يقصد بقية الشياطين بحديثه؟! وأكمل المسلح حديثَه قائلًا: لقد أبعدنا بقية زملائك خارج باريس، وأفرغنا إطارات سياراتهم حتى نعود إلى هنا، فنُمسك بكما صيدًا سهلًا.

أدركت «إلهام» أنها في موقف حرج، وأن الوقت ليس في صالحها ... وكان عليها تعطيل المسلحين الإرهابيِّين بأية وسيلة، فقالت لهم ساخرة: يبدو أنكم لا تُجيدون غير القتل في الظلام كالخفافيش، أو تدبير الخُدَع الإجرامية ... وتخشَون من المواجهة وجهًا لوجه ...

أجابها أحد المسلحين: بل بالعكس ... فنحن لا نُجيد شيئًا مثل إجادتنا القتال وإطلاق الرصاص ... فهذا هو عملنا الوحيد الذي نُجيده في منظمتنا ... هل سمعتِ عن منظمة الأصابع السوداء؟!

لمَعَت عينَا «إلهام»؛ فقد تذكَّرَت ذلك الاسم، فهو لأخطر منظمة إرهابية في أوروبا، تعمل على السرقة والاختطاف، وتُطاردها شرطة أوروبا بأَسْرِها ...

قالت «إلهام»: لم أكن أظن أنكم بدأتم تهتمون بالأعمال السياسية أخيرًا ... ولذلك رُحْتُم تقتلون علماءَنا في الظلام ... فما الفائدة التي ستعود عليكم من ذلك؟

اقترب أحد المسلحين من «إلهام» وهو يقول: ألم تُدركي الفائدة بعدُ ... إننا نقوم بهذا العمل لحساب إحدى الدول المعادية لكم ... والتي يهمُّها أن يظلَّ عالَمُكم العربي يعاني من مشاكله الاقتصادية حتى يكون النصر لهم إذا ما حدثَت أية مواجهة بينكم وبينهم!

إلهام: لقد فهمتُ الآن ... وهم يدفعون لكم مقابل عملكم ... أليس كذلك؟

المسلح: بالفعل ... ويدفعون بسخاء أيضًا ... فهم لا يحبون أن يظهروا في الصورة إذا ما حدث خطأ ما حتى لا ينكشفوا أمام العالم ... ومن أجل ذلك عَهِدوا إلينا بهذا العمل ... ونحن بالطبع لا نُخطئ أبدًا ... ومن ثَم يستحيل أن يَصِل إلينا أيُّ إنسان أو يعثر على دليل يُديننا.

تساءلَت «إلهام»: ولماذا تُخبرني بكل هذه المعلومات رغم خطورتها على المنظمة التي تعملون لحسابها؟

أجابها الإرهابي المسلح: لأنني واثق أنكِ لن تُفشيها لأي إنسان ... فالموتى عادةً لا يُفشون الأسرار!

قالت «إلهام» ساخرة: حسنًا ... ماذا تنتظر ... فأطلق الرصاص علينا!

أجابها المسلح ساخرًا: ليس الآن ... فقد جاءتنا معلوماتٌ تقول إنكم تابعون لمنظمة عربية لمكافحة الجريمة ضد وطنكم العربي ... ويهمُّ منظمتنا أن تحصل على معلومات عن منظمتكم ... ومن أجل هذا سنُبقيكِ حيةً أنتِ والبروفيسور إلى أن نحصل على هذه المعلومات ... وبعدها ...

وانطلق الإرهابي يضحك بشدة ... على حين شحب وجهُ البروفيسور بشدة، وعاودَته الأزمة القلبية ...

وكان على «إلهام» التصرف بسرعة ... وكانت تلك هي فرصتها ... فدفعَت البروفيسور إلى الأرض ليتحاشَى طلقات الرصاص، وقفزَت نحو أقرب المسلحين إليها، ووجَّهَت إليه ضربة صاعقة، جعلَت رأسه يصطدم بالحائط في صوت مثل انفجار القنبلة، ثم سقط بعدها بلا حَراك ...

وقبل أن يُفيقَ كانت «إلهام» تطير في الهواء، وفي سرعة البرق صوَّبَت ضربتَين هائلتَين نحو الحارسَين الآخرَين، فاصدم رأساهما ببعضهما، ثم ترنَّحَا وسقطَا على الأرض متألِّمَين.

وقبل أن تنتبهَ «إلهام» لحركة المسلح الأخير أحسَّت بطلقة رصاص تمسُّ ذراعها ... وتخدشها في ألم كالنار ...

وألقَت «إلهام» بنفسها بعيدًا لتحاشي طلقات الرصاص ... وسمعَت صوتًا يأتي من باب الحجرة يقول: لا تقتلها أيها الغبيُّ!

وظهر في مدخل الحجرة شخص عملاق ... ولم يكن من شك في أنه زعيم منظمة الأصابع السوداء.

وتقدَّم العملاق نحو «إلهام» ... ورفعها فوق ذراعَيه ... وهو يقول ساخرًا: إنك ساحرة الجمال، وبارعة في القتال أيضًا!

صوَّبَت «إلهام» ضربةً إلى وجه العملاق، ولكن قبضته أمسكَت بيدها واعتصرَتها بقوة هائلة ... وأحسَّت «إلهام» بأن يدَها تكاد تتحطم لقوة العملاق، فصدرَت منها صرخةُ ألم ... وامتدَّت كفُّ العملاق تصفع «إلهام» في توحُّش، وأحسَّت «إلهام» بالضعف والانهيار، وهتفَت في العملاق: سوف تدفع ثمن ذلك أيها المجرم ...

وغابَت عن وَعْيها، فلم تشعر بشيء بعد ذلك ... وهتف العملاق في بقية رجاله: احملوا تلك الفتاة والبروفيسور إلى مقرِّنا السِّري ... وأسرعوا؛ فهناك ما يجب أن نقوم به في الحال!

وعلى الفور قام المسلحون بتنفيذ أوامر زعيمهم ... وحملوا «إلهام» والبروفيسور ... الذي أوشك على أن يفقد وَعْيَه لشدة آلام قلبه ... حملوهما إلى سيارة المنظمة التي انطلقَت بهما بعيدًا ...

وألقى زعيم الأصابع السوداء نظرة أخيرة إلى المعمل ... ثم أخرج من جيبه عدة أصابع ديناميت، وأشعل فتيلَها بحيث ينفجر بعد دقيقة واحدة، وأسرع يغادر المكان.

سباقٌ مع الزمن!

راحَت سيارتَا الشياطين تُسابقان الزمن ... فقد استطاع الشياطين الخمسة إعادةَ ملْءِ إطارات السيارتَين بأقصى سرعة ... وانطلقَت بهما السيارتان صوب معمل البروفيسور في قلب باريس ...

كانت المسافة بعيدة والزحام يتسبب في تعطيل الشياطين ... وراح «أحمد» ينظر في ساعته بقلق شديد ...

همس «عثمان»: أرجو ألَّا نصلَ متأخرين!

أجابه «أحمد» مقطِّبًا حاجبَيه: إن قلبي يحدِّثني أننا وصلنا متأخرين بالفعل!

وظهرَت بداية الطريق الذي يقع فيه معمل البروفيسور ... ولكن ... لم يكن للمعمل أيُّ أثر ... كان هناك زحامٌ شديد من الناس حول المكان ... وكان رجال الشرطة الفرنسية يطوِّقون المنطقة ويمنعون المرور فيها ... أما المعمل فقد تحوَّل إلى كومة من الحطام المشتعل. راحَت سيارات الإطفاء تبذل جهدها لإطفائه.

تبادل الشياطين نظراتٍ مذهولة ... واندفعوا نحو رجال الشرطة ... وصاح «قيس» فيهم: ماذا حدث؟!

– يبدو أن المعمل انفجر لسبب ما ... ربما لاشتعال إحدى المواد القابلة للالتهاب، فتحوَّل إلى كتلة من اللهب.

تبادل الشياطين النظراتِ ... لم يكن لديهم أيُّ شك في أن المعمل تمَّ نَسْفُه بفعل فاعل ... وليس كما ظن رجال الشرطة ...

وهتف «أحمد» في توتُّر شديد: وهل سقط ضحايا بسبب الانفجار؟!

أجاب الشرطي: لا ... لقد فحصنا المخلفات بسرعة ... ولم نعثر على أي شخص.

تبادل الشياطين النظرات في ارتياح ... وهمس «خالد»: إن هذا معناه أن «إلهام» والبروفيسور لم يكونَا بداخل المعمل لحظةَ انفجاره، ولعلهما أحسَّا بالخدعة، فأسرعَا يغادران المعمل في اللحظة المناسبة ...

أحمد: أو أن يكون قد تمَّ اختطافهما!

ظهر القلق على وجوه الشياطين ... وأكمل «أحمد» في بطء: هذا هو الاحتمال الأرجح ... فلو كانت «إلهام» والبروفيسور قد اختفيَا بإرادتهما لظهرَا الآن ... ولكن عدم ظهورهما يعني أنهما قد اختُطفَا!

قيس: ولماذا اختطفَتهما تلك المنظمة؟

التمعَت عينَا «عثمان»، وقال: لعلهم يرغبون في الحصول على بعض المعلومات من «إلهام»!

فلا شك أنهم قد استنتجوا أننا تابعون لجهة تتولَّى حمايةَ العالَم العربي من الأخطار والمجرمين، ويهمُّهم الحصول على معلومات عنا!

هتفَت «ريما» في قلق: إن هذا معناه أن «إلهام» في خطر شديد!

قيس: والبروفيسور أيضًا!

ظهر الغضب الشديد على وجه «خالد»، وقال في حنَقٍ: وما العمل الآن ... هل سنقف مكتوفي الأيدي نتحدث مثل العجائز ... يجب إنقاذ «إلهام» والبروفيسور بأي ثمن.

وكان «أحمد» يفكر في هدوء دون أن يفقد أعصابه، فقال: ولكننا لا نعرف أين اتجه هؤلاء المجرمون بـ «إلهام» والبروفيسور ... ولا ما هو مقرُّهم!

فجأة صرخَت «ريما»: لقد عاد جهاز الاستقبال الضوئي يعمل مرة أخرى!

اندفعوا جميعًا نحو الجهاز بداخل سيارة الشياطين ... وصاح «خالد»: إن الإشارات تدل على أن السيارة الدبلوماسية تتجه خارج باريس مرة أخرى ... ولكن جهة الغرب ...

عثمان: حسنًا ... ستكون نهايتهم هذه المرة ... ولحسن الحظ أنهم لم ينتبهوا إلى جهاز بثِّ الإشارات الضوئي الذي أخفيناه في سيارتهم الدبلوماسية.

خالد: ماذا تنتظرون؟! هيَّا بنا.

واندفع الشياطين إلى السيارتَين ... وانطلقوا بهما بأقصى سرعة نحو الهدف المنشود ...

وبدأَت «إلهام» تُفيق من إغمائها ... وتنبَّهَت حولها فوجدت نفسها مقيدةَ اليدين بقيود قاسية إلى الحائط ... وقد رُبط حزامٌ بوسطها نحو الحائط أيضًا ... وكان البروفيسور «أدهم» مقيدًا بجوارها فاقد الوعي.

وبدأَت «إلهام» تتذكَّر بدهشة ما حدث لها ... وأدركَت أنه قد تم اختطافها مع البروفيسور ... وإحضارهما إلى ذلك المكان، والذي لم يكن هناك شكٌّ في أنه مقرُّ تلك المنظمة الإرهابية ...

وتساءلت «إلهام» بقلق: تُرى ماذا حدث لبقية الشياطين، وماذا سيفعلون عندما يكتشفون اختطافها هي والبروفيسور؟! وهل سيُفلحون في الوصول لمكانهما؟

وراحَت تتأمل المكان حولها في توتُّر ... كانت في حجرة واسعة خالية من الأثاث، لها جدران رطبة ذات رائحة عفونة، فاستنتجَت «إلهام» أن ذلك المكان بداخل باريس ... بالقرب من نهر السين؛ بسبب رائحة الرطوبة النفاذة ... ولم يكن لديها شكٌّ في أنه مكانٌ سريٌّ تحت الأرض ... يجهله أيُّ إنسان ...

حاولَت «إلهام» أن تجذبَ يدَيها من القيود القاسية بلا فائدة ... وأحسَّت بألم شديد في يدَيها ... وجاء صوتٌ ساخر من اليسار يقول: لا فائدة يا عزيزتي ... كثيرون قبلك أكثر منك قوة عشرات المرات حاولوا أن يفعلوا نفس الشيء بلا فائدة ...

كان المتحدث هو زعيم المنظمة ... كان منظرُه مفزعًا ... خاصة عينَيه الكبيرتَين اللتين تآكلَت جفونهما ... فبدتَا أكثرَ تشويهًا واتساعًا.

وتقدَّم الزعيم من «إلهام» وقد ارتسم على وجهه ابتسامةٌ قبيحة ... ووقف أمام «إلهام» يحدِّق فيها، ثم قال: إن مثلَكِ ومَن كان لها مثل هذا الجمال ... جديرة أن تكون زوجةً حسناء ... لرجل مثلي.

هتفَت به «إلهام» في احتقار وسخرية ... ومَن قال لك إنني أقبل الزواج ... من مجرم محترف الإجرام ...

ظهر الغضب الشديد على وجه الزعيم، وأمسك «إلهام» من شعر رأسها وجذبه بعنف، وهو يقول: إنني لا أحب مَن يصفني بالإجرام!

ودفعها بعنف إلى الحائط، وهو يُكمل: كثيرون أهانوني بأقل مما قلتِ ... وكان نصيبُهم الموت برصاصة قضَت عليهم في الحال.

واجهَته «إلهام» في شجاعة، قائلةً: وماذا تنتظر؟!

الرجل: إنني أنتظر أن أعرف منكِ كلَّ ما أريد من أسرار عن الجهة التي تعملين لحسابها!

إلهام: أنت واهم ... وستنتظر طويلًا!

الرجل: أحقًّا؟!

وانفجر الزعيم في الضحك بصوتٍ عالٍ ... وحدَّق في «إلهام» وهو يقول: إنني عادة لا أحب الانتظار، وأحصل على ما أريد بأقصى سرعة.

وأخرج من جيبه سكينًا حادة، وراح يُلوِّح بها أمام وجه «إلهام» التي واجهَته في ثبات ... ثم قرَّب السكين من عنقها وهو يقول: ماذا تفضلين؟ الموت ... أم الاعتراف بما أريده؟

أجابَته «إلهام» ساخرة: إنك لن تحاول إرهابي أيها القبيح المشوَّه ... ربما تستطيعُ تهديدَ أحدٍ غيرى، أما أنا فلا!

ضاقَت عينَا الزعيم لحظة ... ثم تراجع إلى الوراء، وهو يقول: ما رأيُكِ إذن في هذه الطريقة؟

وضغط على زرٍّ بجواره ... وفي الحال بدأ الماء يتدفَّق ببطء من ركن الحجرة إلى قلبها من خلال فتحات خاصة ...

وقال الزعيم: إننا بجوار نهر السين ... وسوف يظل الماء في التدفق سريعًا إلى أن يَصِل إلى عنقِكِ ثم رأسكِ ... وبعدها تموتين دون أن تجدي مَن يُنقذكِ ...

إلا إذا تحدَّثتِ أولًا بما أريد!

هتفَت «إلهام» في غضب: إنني لن أتحدَّثَ مهما فعلتَ ... وحتى إذا تمكَّنتَ من إغراقي ... فسوف يأتي الباقون لينتقموا لي ... الباقون! وانفجر الزعيم في الضحك بشدة ... ثم توقَّف، وقال في وحشية: إنهم لن يذهبوا إلى أيِّ مكان آخر ... عدا المكان الذي خدعتُهم ليذهبوا إليه ... فهي خدعتي الأخيرة لهم ...

حيث يُلاقون حتْفَهم جميعًا ...

وانطلق يُقهقه مرة أخرى ... وغادر المكان. وراح الماء يعلو حول قدمَي «إلهام» ... وتساءلَت بقلق شديد بينها وبين نفسها: تُرَى ما هي تلك الخدعة الأخيرة التي تحدَّث عنها ذلك المجرم؟!

الخدعة الأخيرة!

كانت الساحة خالية ... وأقربُ مسكن يبعد عدة كيلومترات ... وقد ظهر برجُ إيفل على مسافة بعيدة ... لم يكن يبدو أن هناك حياة في المكان ... غير السيارة التي تحمل الأرقام الدبلوماسية، وفي الخلف ظهرَت عشرةُ رءوس لرجال مسلحين بالمدافع الرشاشة، وقد اختفوا خلف بعض الصخور، واستعدوا لإطلاق الرصاص عندما يقترب الهدف ... وأخيرًا ... بدأ الهدف يقترب ...

وظهرَت سيارتَا الشياطين قادمتَين على البُعد بأقصى سرعة ... وظهر السرور على وجوه المسلحين العشرة ... فقد نجحَت خدعتُهم الأخيرة التي رسموها للتخلص من الشياطين ... لاصطيادهم في ذلك الخلاء ...

وراحَت سيارتَا الشياطين تقتربان بسرعة بالغة ... دون أن يهتمَّ ركابُها بالصخور والأرض المتعرجة غير المستوية ... وما إن وقعَت أبصار المسلحين العشرة على السيارتَين المقتربتَين بسرعة حتى ظهر فيهما الذهول ... كانت السيارتان بلا سائق ... وكان لذلك معنى وحيد!

وصرخ قائد المسلحين في رجاله برعب ...: إن السيارتَين ملغومتان ... فلنُسرع بالهرب ... ولكن جاء تحذيرُه متأخرًا ... ودوَّى انفجار هائل ... ثم تَبِعه انفجارٌ ثانٍ.

وتناثر رجالُ المنظمة المسلحون، وقد أطاح بهم الانفجار، فلم ينجُ منهم غيرُ واحد راح يتألم بشدة من إصابته.

وظهر الشياطين الخمسة من الخلف ... فقد قاموا بخدعتهم هذه المرة ... بعد أن توقَّعوا ما ينتظرهم في ذلك المكان ... فقاموا بتلغيم السيارتَين للقضاء على رجال المنظمة.

واندفع الشياطين نحو المسلَّح الجريح، وأمسكه «أحمد» من ياقته، وهتف به: لقد تعادلنا الآن ... وخدعة بخدعة ... ومن الأفضل لك أن تدلَّنا على مكان الفتاة والبروفيسور المخطوفَين قبل أن نُجهِز عليك!

ظهر الرعب على وجه الرجل، وقال متوسلًا: سأقودكم إلى هناك، ولكن لا تقتلوني!

عثمان: تأكَّد أننا لن نكتفيَ بإطلاق الرصاص عليك إذا كنت تحاول أن تخدعَنا بأية حيلة أخرى.

وألقى الشياطين بالرجل المصاب في إحدى السيارتَين ... ثم انطلقوا بهما صوب قلب باريس مرة أخرى، وباتجاه حدائق برج إيفل خلف النهر الكبير.

ولم تستغرق الرحلة وقتًا طويلًا هذه المرة ... وكان الهدف منزلًا قديمًا محاطًا بسورٍ عالٍ ... يُطلُّ على نهر السين ويبدو مهجورًا، وقام الشياطين بتقييد المصاب ... ثم قفزوا فوق سور المنزل من الخلف ... وتسلَّلوا بداخله.

كان المنزل يبدو مهجورًا ... ومن ذلك النوع الذي يمتلئ بالسراديب والأقبية ... وكان مظلمًا من الداخل، فأخذ الشياطين يتحركون في حذر.

وفجأة اصطدم «خالد» بشيء ... فسقطَت المنضدة التي اصطدم بها على الأرض محدثةً صوتًا عاليًا.

وتجمَّدوا في أماكنهم ... وسمعوا صوتَ خطوات مهرولة ... ثم بدأ إطلاق الرصاص كالمطر ...

كان منسوب المياه داخل الحجرة الواسعة يواصل ارتفاعَه بسرعة ... وبدأ الماء يرتفع من كتف «إلهام» حتى رقبتها، ويقترب من فمها.

وأفاق البروفيسور من إغمائه، وظهر عليه الخوف من ذلك المصير الذي ينتظره ... وظهر القلق على وجه «إلهام». كانت لآخر لحظة متأكدة من وصول الشياطين إليها وإنقاذها ... ولكن الأمل تضاءل بمرور الوقت.

ووصل الماء إلى فمها ... وراحَت «إلهام» تحاول الوقوف على أطراف أصابعها حتى لا يصلَ الماء إلى فمها أو أنفها.

وأحسَّت أنها تُوشك أن تختنق ... وفجأة دوَّت أصوات الطلقات في الخارج ... وانتفضَت «إلهام» من الفرحة ... فقد كان معنى طلقات الرصاص هي وصول الشياطين.

ولكن هل سيتسع الوقت لهم لإنقاذها هي والبروفيسور؟

فجأة انفتح باب الحجرة ... وظهر رأس «أحمد» من فوق سطح الماء ... وحييَ الأملُ في قلب «إلهام»، واندفع «أحمد» غائصًا في قلب الماء. وبسرعة قام بتمزيق قيود «إلهام» والبروفيسور ... في اللحظة الأخيرة بسكين صغيرة معه.

وصاح «أحمد» بهما: فلنُسرع للخروج من هذا المكان ... وإلا غَرِقنا!

وفجأة ... ظهر زعيم المنظمة ... وقد أطلَّ من نافذة عالية بالحجرة ... وقد صوَّب مدفعًا رشاشًا نحو «إلهام» و«أحمد» والبروفيسور وهو يقول: إنكم لن تغادروا هذا المكان أحياء أبدًا!

هتف «أحمد» به: أؤكد لك أنك مخطئ.

وطارَت سكين «أحمد» الصغيرة نحو الزعيم فاستقرَّت في قلبه ... ثم انكفأ على وجهه بلا حَراك.

وحمل «أحمد» البروفيسور فوق يدَيه، واندفع يغادر الحجرة مع «إلهام» ... وصَعِدَا بضعةَ سلالم قادَتْهما لأعلى.

واتجه «عثمان» نحوهما وهو يقول: لقد قضينا على كلِّ رجال المنظمة في هذا المكان.

أحمد: هذا أفضل ليصير الأشرار في هذا العالم أقلَّ عددًا. دعونا نغادر هذا المكان بسرعة.

واندفعوا خارجين إلى السيارتَين بالخارج ... وقد استعاد البروفيسور قوتَه.

وتساءلَت «إلهام» بدهشة عظيمة: ولكن كيف تمكنتم من اكتشاف الخدعة الأخيرة لهؤلاء المجرمين والوصول إلى هنا؟!

أجابها «أحمد» ضاحكًا: إننا أيضًا لدينا خدعة ... وإلا ما استحققنا أن يُطلَق علينا الشياطين! وانطلق الجميع يضحكون ... والبروفيسور «أدهم» يرمقهم بإعجاب شديد ...

هنـــداوي